

## وَنَغْرَسُ فَيَأْكُلُ مِنْ بَعْدِنَا

الهدف المراد توصيله إلى جمهور المسجد:

إن الهدف من هذه الخطبة هو: توعية الجمهور بفضيلة الإلتقان في كل شيء، وأثر ذلك في تقدم الأمم، علماً بأن الخطبة الثانية تتناول التحذير من حبة الغلة، وضرورة بث الأمل في القلوب.  
العناصر:

- ١- لَقَدْ غَرَسَ مَنْ قَبْلَنَا فَأَكَلْنَا، وَنَحْنُ نَغْرِسُ لِيَأْكُلَ مَنْ بَعْدَنَا!
- ٢- يَا مَنْ تَغْرِسُ لِيَأْكُلَ غَيْرُكَ، أَتَقِنُ غَرَسَكَ!
- ٣- هَلْ نَحْنُ حَقًّا نَصِلُ بِأَعْمَالِنَا إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْجُودَةِ وَالْتَّمِيزِ وَالْكَمَالِ؟!
- ٤- إِنْ إِتْقَانَنَا لِلْعَمَلِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ هُوَ سِرٌّ مَهْضَتِنَا وَمَدَادُ رُقِيَّتِنَا.
- ٥- إِنَّ «حَبَّةَ الْغَلَّةِ» شَبِيحٌ أَسْوَدٌ، وَرَمْزٌ مَوْتٍ مُجِيفٌ، وَبَوَابَةٌ عَدَمٍ مَوْهُومٌ، وَوَعْدٌ زَائِفٌ بِرَاحَةِ أَبَدِيَّةٍ.
- ٦- إِنْ الْخَلَاصَ لَيْسَ فِي حَبَّةِ غَلَّةٍ قَاتِلَةٍ، بَلْ فِي حَبَّةِ أَمَلٍ بِاسْمَةِ نَزْرَعُهَا فِي قُلُوبِنَا.

الأدلة من القرآن الكريم:

- قوله تعالى: {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}.
- قوله تعالى: {لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ}.
- قوله تعالى: {فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

الأدلة من السنة النبوية:

- حديث: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَيْسِلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا».
- حديث: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَّقِنَهُ».
- حديث: «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

(١)

**وَنَغْرَسُ فَيَأْكُلُ مَنْ بَعَدَنَا**

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَدَى الْعُقُولَ بِبِدَائِعِ حِكْمِهِ، وَوَسَّعَ الْخَلَائِقَ بِجَلَائِلِ نِعَمِهِ، أَقَامَ الْكَوْنَ بِعَظَمَةِ تَجَلِّيهِ، وَأَنْزَلَ الْهُدَى عَلَى أَنْبِيَائِهِ وَمُرْسَلِيهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، إِلَهًا أَحَدًا فَرْدًا صَمَدًا، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ، وَصَفِيَّهُ مِنْ خَلْقِهِ وَحَبِيبَهُ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَخِتَامًا لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَبَعْدُ:

فَقَدْ ذَكَرَ الْمُؤرِّخُونَ أَنَّ مَلِكًا مِنْ مُلُوكِ فَارِسَ كَانَ يَسِيرُ بِمَوَكِبِهِ يَوْمًا، فَعَبَرَ عَلَى شَيْخٍ كَبِيرٍ يَغْرِسُ شَجَرَةً لَا تُنْبِتُ إِلَّا بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: إِنَّ شَأْنَكَ لَعَجِيبٌ، أَرَأَيْكَ قَرِيبًا مِنَ الْمَوْتِ ثُمَّ هَا أَنْتَ ذَا تَغْرِسُ شَجَرَةً لَا تُنْبِتُ إِلَّا بَعْدَ مِائَةِ عَامٍ، مَا أَطْوَلَ أَمَلَكَ! فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: أَصْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ! لَقَدْ غَرَسَ مِنْ قَبْلُنَا فَأَكَلْنَا، وَنَحْنُ نَغْرِسُ لِيَأْكُلَ مَنْ بَعَدَنَا!

أَيُّهَا النَّاسُ، فَلْنَبْتِ هَذِهِ الثَّقَافَةَ فِي نُفُوسِنَا وَفِي مُجْتَمَعِنَا، نَغْرِسُ لِيَأْكُلَ مَنْ بَعَدَنَا، نُتَبِّحُ لِيَسْتَفِيعَ مَنْ بَعَدَنَا، نُثَقِّنُ لِنُنِيرَ الدُّنْيَا لِمَنْ بَعَدَنَا، وَهَا هُوَ اللَّسَانُ الْأَشْرَفُ يَدُلُّنَا عَلَى هَذَا الطَّرِيقِ الْأَثْوَرِ مِنَ الْإِتْقَانِ وَالْبَذْلِ وَالسَّخَاءِ وَالْإِيثَارِ، فَيَقُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ قَامَتْ عَلَى أَحَدِكُمْ الْقِيَامَةُ، وَفِي يَدِهِ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا».

وَيَا مَنْ تَغْرِسُ لِيَأْكُلَ غَيْرُكَ، أَنْتَقِنْ غَرَسَكَ! وَانْتَظِمْ فِي سِلْكِ الْإِبْدَاعِ وَالْإِتْقَانِ الْإِلَهِيِّ؛ فَإِنَّ الْكَوْنَ كُلَّهُ يَشْهَدُ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ وَبِدْيَعِ صُنْعِهِ، وَيُشِيرُ إِلَى إِتْقَانِ لَا يُضَاهِي، وَإِحْكَامِ لَا يُبَارَى، وَكُلُّ نَفْسٍ سَوِيَّةٍ تَحْمِلُ فِي طَيَّانَتِهَا بَذْرَةَ الْإِتْقَانِ، وَرُوحَ الْعَطَاءِ، وَرَغْبَةَ فِي تَرْكِ بَصْمَةِ نَافِعَةٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ! وَهَذَا هُوَ الْحَالُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ مَمْزُوجًا بِبَيَانِ الْمَحَبَّةِ الْإِلَهِيَّةِ «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتَقَنَّهُ».

فَلْتَسْأَلْ أَيُّهَا الْكِرَامُ، هَلْ نَحْنُ حَقًّا نَصِلُ بِأَعْمَالِنَا إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْجُودَةِ وَالْتَمِيزِ وَالْكَمَالِ؟! هَلْ حَقَّقْنَا تِلْكَ الْوَصِيَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ الْخَالِدَةَ «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»؟! هَلْ تَدَبَّرْنَا سِيرَ الصَّحْبِ الْكِرَامِ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، كَيْفَ سَرَتْ

(٢)

فِيهِمْ رُوحُ الْإِثْقَانِ فِي كُلِّ عَمَلٍ سَرِيانِ مَاءِ الْوَرْدِ فِي الْوَرْدِ؟ فَهَذَا سَيِّدُنَا بِلَالٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُؤَدِّنُ لِلصَّلَاةِ بِصَوْتِ نَدْيِ جَهْرِيٍّ، يَجْرُسُ عَلَى إِبْلَاحِ نِدَاءِ الْحَقِّ بِأَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَعَدَبِ بَيَانٍ، وَيَبِينُ يَدَيْكَ سِيرَةَ سَيِّدِنَا خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُحِطُّ لِمَعَارِكِ الْإِثْقَانِ وَإِحْكَامِ وَبِرَاعَةِ، وَهَذَا سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُبْهِرُ الدُّنْيَا بِفِكْرَةِ الْحَنْدَقِ الْمُبْدَعَةِ، فَكَانَ مَقَامُهُمْ - أَهْلَ الْمَدِينَةِ الْفَاضِلَةِ - مَقَامَ الْإِحْسَانِ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ».

أَيُّهَا النَّبِيلُ، لِيَكُنْ فِي شَرِيفِ عِلْمِكَ أَنَّ الْإِثْقَانَ صُرُورَةٌ لَا رَفَاهِيَّةٌ، فِيهِ عَالَمٌ يُمُوجُ بِالتَّحَدِّيَاتِ لَا رُقِيٍّ لِمُجْتَمَعِنَا إِلَّا بِالْعَمَلِ الْمُتَقِنِ الَّذِي يَحْمِلُ فِي طَيِّبَاتِهِ رُوحَ التَّفَانِي وَالْإِخْلَاصِ، فَلَنْزَرِعَ بُدُورَ الْإِثْقَانِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ، فِي عِبَادَتِنَا، فِي وَظَائِفِنَا، فِي صِنَاعَتِنَا، فِي تِجَارَتِنَا، فِي تَعْلِيمِنَا، فِي عِلَاقَاتِنَا الْإِنْسَانِيَّةِ، فَلْنَجْعَلْ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ لَوْحَةً مُبْدَعَةً تَسْتَحِقُّ التَّامُّلَ، وَلِسَانَ صِدْقٍ يَتَرَدَّدُ فِي أَرْجَاءِ الْكَوْنِ، لِنَكُنْ لِلدُّنْيَا قِصَصًا مُلْهِمَةً، وَحِكَايَاتٍ وَسِيرًا مُحْفَظَةً، وَأَثَرًا مُتَمَدِّدًا بَاقِيًا مَا بَقِيَتِ الدُّنْيَا.

عِبَادَ اللَّهِ، اْعْلَمُوا أَنَّ إِثْقَانَنَا لِلْعَمَلِ فِي كُلِّ مَيْدَانٍ هُوَ سِرٌّ مَهْضَمْتَنَا وَمَدَادُ رُفِينَا، عِنْدَمَا يُحْلِصُ الطَّبِيبُ فِي عِلَاجِهِ، وَيَجْتَهِدُ الْمُهَنْدِسُ فِي بِنَائِهِ، وَيُبْدِعُ الْعَامِلُ فِي صِنْعَتِهِ، وَيَسْهَرُ الْجُنْدِيُّ عَلَى حِمَايَةِ وَطَنِهِ، فَإِنَّا نَبْنِي مُسْتَقْبَلًا مُشْرِقًا لِابْنَائِنَا وَأَحْفَادِنَا، فَالْحَيَاةُ قَصِيرَةٌ، وَعَلَى كُلِّ مَنَّا أَنْ يَتْرَكَ فِيهَا الْأَثَرَ الطَّيِّبَ، وَالْعَمَلَ الْمُحْكَمَ، وَالْغَرْسَ الْمُتَمَدِّدَ، وَالْبَصْمَةَ الْبَاقِيَةَ، لِنَكُنْ كَالنَّخْلَةِ الشَّائِحَةِ، تَرْمِي بِخَيْرِهَا دَائِمًا، وَيَأْكُلُ مِنْ ثَمَرِهَا كُلُّ عَابِرِ سَبِيلٍ، وَلِيَكُنْ حَادِينَا نِدَاءُ اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ {وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ}، وَلِنَغْرِسْ أَيُّهَا الْكِرَامُ لِيَأْكُلَ مَنْ بَعَدَنَا.

\*\*\*

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَبَعْدُ:

فَإِنَّ «حَبَّةَ الْغَلَّةِ» شَبَّحَ أَسْوَدُ، وَرَمَزَ مَوْتَ مُحْيِفٍ، وَبَوَّابَةَ عَدَمِ مَوْهُومٍ، وَوَعَدُ زَائِفٍ بِرَاحَةِ أَبَدِيَّةٍ، فَيَا مَنْ أَنْقَلْتِكَ الْهُمُومَ، وَكَدَّرْتَ خَاطِرَكَ أَعْبَاءَ الْحَيَاةِ، وَلَا حَتَّ فِي عَيْنَيْكَ غُيُومَ الْيَأْسِ الْقَائِمَةِ، أَسَأَلُكَ بِرَبِّكَ: هَلْ هَذِهِ الْحَبَّةُ تَحْمِلُ الْحَلَّ؟ هَلْ الْاِنْتِهَاءُ هُوَ الْاِنْتِصَارُ؟ هَلْ الْهُرُوبُ هُوَ الْخَلَاصُ؟! أَمْ أَنَّ الْمَلَجَاءَ وَالْمَلَاذَ وَالنَّجَاةَ وَالْفَلَاحَ فِي الْفِرَارِ إِلَى «اللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ» الرَّحْمَنِ، الرَّحِيمِ، الْوَدُودِ، الْكَرِيمِ، التَّوَّابِ، الرَّزَاقِ! أَيُّهَا النَّبِيُّ اعْلَمْ أَنَّهُ {لَا مَلَجَاءَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ}.

اعْلَمْ أَيُّهَا الْحَبِيبُ أَنَّ عِلَاجَ الْهُمِّ وَالْيَأْسِ لَيْسَ فِي اِئْتِلَافِ الشَّمِّ، بَلْ فِي بَثِّ الْأَمَلِ، الْأَمَلِ الَّذِي يُؤَلِّدُ مِنْ رَحِمِ الْأَمَلِ، الْأَمَلِ الَّذِي يُزْهِرُ فِي قَلْبِ الْيَأْسِ، الْأَمَلِ الَّذِي يُضِيءُ كَقَنْدِيلٍ فِي عَتَمَةِ الرُّوحِ، الْأَمَلِ لَيْسَ مُجَرَّدَ كَلِمَةٍ عَابِرَةٍ، بَلْ إِنَّ الْأَمَلَ فِعْلٌ، الْأَمَلُ سَعْيٌ، الْأَمَلُ إِيمَانٌ بَأَنَّ الْعَدَدَ يَحْمِلُ فِي طَيَّابَتِهِ فُرْصًا جَدِيدَةً لِلنَّجَاحِ، وَأَشِعَّةَ شَمْسٍ دَافِئَةٍ تُنِيرُ الْقُلُوبَ، وَابْتِسَامَاتٍ صَادِقَةً تُزِيلُ الْهُمُومَ، الْأَمَلُ هُوَ أَنْ تَرَى فِي كُلِّ عَثْرَةٍ دَرْسًا، وَفِي كُلِّ سُقُوطٍ مُهُوضًا، وَفِي كُلِّ ضَيْقٍ فَرْجًا {فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ}.

أَيُّهَا الْكِرَامُ، نَعْلَمُ جَمِيعًا أَنَّ الْحَيَاةَ لَيْسَتْ دَائِمًا سَهْلَةً مُبْهَجَةً، فَقَدْ نَعَصَفُ بِنَا الرِّيَاحِ، وَتَشْتَدُّ بِنَا الْأَمْوَاجِ، وَقَدْ نَضَلُّ الطَّرِيقَ فِي الظَّلَامِ، وَلَكِنْ لَا تَسْتَسْلِمُوا هَمَّاتِ الْيَأْسِ، وَلَا تُصَدِّقُوا وَعُودَ الْمَوْتِ الْكَاذِبَةَ، ابْحَثُوا عَنْ بَصِيصِ النُّورِ فِي أَعْمَاقِكُمْ، تَمَسَّكُوا بِخِيوطِ الْأَمَلِ الرَّفِيعَةِ، وَاسْمَحُوا لِلْحَيَاةِ أَنْ تَهَبِّكُمُ جَمَاهَا الْمُتَجَدِّدًا!

عِبَادَ اللَّهِ، إِنَّ الْخَلَاصَ لَيْسَ فِي حَبَّةِ غَلَّةٍ قَاتِلَةٍ، بَلْ فِي حَبَّةِ أَمَلٍ بِاسْمَةِ نَزْرَعُهَا فِي قُلُوبِنَا، وَنَسْقِيهَا بِالْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ، لِتُزْهِرَ حَيَاةً جَدِيدَةً، مُشْرِقَةً، مَلِيئَةً بِالْبَهْجَةِ وَالسُّرُورِ وَالْأُنْسِ وَالْحُبُورِ، فَلْنَبْذُ حَبَّةَ الْغَلَّةِ، وَلْنَحْتَضِنُ حَبَّةَ الْأَمَلِ، وَلْنُعْلِنَهَا بِلسَانِ مُنْعَمٍ بِالْأَمَلِ: نَعَمْ لِلْحَيَاةِ.

اللَّهُمَّ ابْسُطْ عَلَيَّ بِلَادِنَا مِضْرَ بَسَاطَةِ الْأَمَلِ وَالنُّورِ وَالْفَيْضِ وَالْإِكْرَامِ

وَافْتَحْ لَنَا الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ